تميم الداري

أوّل قاصٍّ في الاسلام ؟!

الدكتورة وديعة طه النجم

لقـــد كان اول من وجه نظرى نحو هـــذه الشخصية الغريبة فى القصّاص ، الجاحظ • وكان ذلك فى رسالته (التربيع والتدوير) ، حين يثير الجاحظ فضولا حول هذه الشخصيّة متسائلا :

« وخبّرنى عن النميرى صاحب الورقة وعن تميم الداريّ صاحب الرّدم »[1]

فقد بدالى ان تساؤل الجاحظ هـذا لم يـكن غرضه الا اثارة الشكّ والاستغراب من هذا الذى يتساءل عنه ، لا سيما اذا علمنا انّ رسالة التربيع والتدوير نفسها تحفظ لناكلّ ما أثار فضول عصر الجاحظ ، وشكّ العلماء من امثاله •فهو وان وضع اكثر مسائلها موضع الاستفسار والاستفهام الاّ انّه لم يأمل فى جوابٍ ، وانما هو يثير حولها الفكر ، ويشكّك فى مسائلها •

ويذكره الجاحظ فى مناسبةٍ غير هذه ايضا على لسان خالد بن يزيد (او خالوية) المكدّى من البخلاء ، حين يعظ هذا ابنه ويذكّره انه مارس كلّ مهنة وافلح حتّى لقد بزّ ابرز القصّاص فى الاسلام تميم الدارى • يقول خالوية :

« ولو رآنى تميم الدارىّ لأخذ عنّى صفة الروم »[2]

على ان الجاحظ لا يذكر الداريّ هذا فى جملة القصّاص الذين قال عنهم انهم من اوائل القصّاص فى الاسلام ، كما لا يشير اليـــه مطلقاً فى

---

(١) يثبت پيلاّ النصّ ويقرأ (الرّدم) بدلا من (الروم) ، ويعلّق على ذلك بأنّ المقصود هو (الردم ، المردم أو المرطوم) الموضع الذى اقطع لتميم الدارى من ارض فلسطين : راجع رسالة التربيع والتدوير (ط پيلاّ) ص ٤٢ ــ ٤٣ ثم التعليقات ص ٤١ •

(٢) البخلاء : (ط ــ الحاجرى ــ ١٩٤٨) : ص ٤٠ •

(البيان والتبيين) ، مما يؤكد شك الجاحظ فى أمره والتشكيك فيه [٣]

وحينما رجعت الى المصادر الاسلامية وجدت انها تحدثت عن تميم الدارى فى اكثر من مجال واحد ، سواء منها ما كانت مصادر تأريخية ، او من كتب الحديث او الأدب ، أو سوى هذه . على ان ما يلفت النظر الى أمر هذه الشخصية انه كلما تقدم بنا الزمن نجد الاهتمام يزداد به شيئاً فشيئاً حتى نأتى الى زمن المقريزى (تقى الدين) فنجده يفرد رسالة خاصة فى تميم الدارى وما يتعلق به من اخبار يسميها (كتاب ضوء السارى لمعرفة خبر تميم الدارى)[٤].

ولنبدأ بما تذكره المصادر عن اصل تميم وقبيلته ، ثم انتقل الى الحديث عن علاقته بالاسلام .

قيل اسمه تميم بن أوس بن خارجة (او حارثة) بن سود (او سواد) ابن خزيمة (او حذيفة) بن دراع عدى بن الدار بن هانىء بن حبيب بن نمارة (او بن رقية الدارى)[٥] ابن لخم بن عدى (ابو رقية الدارى)[٦] ابن عمرو بن سبأ[٧] . اما من هم هؤلاء الداريون واى نسبة ينتسب تميم فان المصادر تكاد تتفق على ان الدار بن هانىء هم من لخم [٨] . ويقول ابو عبيد ان « تميم الدارى فخذ من لخم أو جذام »[٩] (كذا !) . وقال ابن سعد :

---

(٣) البيان والتبيين : (ط السندوسى) حـ ١ ص ٢٣٤ .

(٤) نشرها وقدم لها : Charles D. Mathews فى
Journal of the Palestine Oriental Society, Jerusalem, Vol. XIX, 1939-1940., pub. 1941, pp. 150-179.

(٥) ابن عساكر : التاريخ الكبير (سنة ١٣٣١) حـ ٣ ص ٣٤٤ .

(٦) المقريزى : ضوء السارى ص ١٥٣ .

(٧) ابن الاثير : اسد الغابة : (ط طهران) : حـ ١ ص ٢١٥ ، واختلافات اخرى فى ابن سعد : الطبقات الكبرى (سنة ١٩٥٨) مجلد ٧ ص ٤٠٨ .

(٨) بالاضافة الى المصادر المتقدمة يراجع : البلاذرى : فتوح البلدان (دار النشر للجامعيين) حـ ٢ ص ١٧٦ ؛ ابن دريد : الاشتقاق (سنة ١٩٥٨) ص ١٥٥ ؛ الطبرى : تاريخ (الملحق) (الطبعة الاوربية) حـ ٣ ص ٢٥٤٥ .

(٩) المقريزى : ضوء السارى ص ٧٦٠ . ابن عساكر : التاريخ . حـ ٣ ص ٣٥٠ .

« تميم بن أوس الدارى بطن من لخم ويكنى ابا رقية »[١٠] • والمصادر الاسلاميّة تدعى ايضاً ان لخماً وجذاماً وعاملة هم جميعاً فى اواقع من اصل واحد ، وذلك ان أسد بن خزيمة انتشر ولده فى اليمن وهم لخم وجذام وعامله بنو عمرو بن احد»[١١] • على ان ابن قتيبة يقول : « •• واجمع النسّاب على ان اليمن من ولد قحطان •• فأما عمرو بن سبأ فولد عدى بن عمرو وولد عدى لخماً وجذاما فمن لخم حدس بن لخم وهم قبائل كثيرة ويقول انهم قوم من ولد أراشة بن مر بن أد بن طابخة بن الياس وذلك ان أراشة لحق باليمن وصار فى جذام ، ومن لخم غنم بن لخم وهم قبائل كثيرة ويقول قوم انهم من مضر • ومن لخم بنو الدار بن هانىء وهم الداريون وكان منهم تميم الدارى »[١٢] •

ونلاحظ أن لخما وجذاما تتمتعان بتاريخ حافل وظروف تؤهلهما لكى تكونا مصدرا للاساطير والقصص وأن تنسب اليهما شخصيات قصصية فى الاسلام • فهما ترجعان بنسبهما الى الانبياء وتتصلان بتاريخهم اتصالا وثيقا • « قال الحمدانى : ويقال انهم من ولد يعفر بن مدين بن ابراهيم (ع) • واستشهد كذلك بما رواه محمد بن السائب انه وفد على رسول الله (ص) فى وفد من جذام ، فقال : مرحبا بقوم شعيب وأصهار موسى »[١٣] •

ويقال ان الذى أخرج يوسف من الجب كان من مدين[١٤] ، بل وتخصص بعض الروايات انه كان من لخم واسمه مالك بن ذعر (أو ملك بن زعر)[١٥] ، وان مالك بن ذعر هذا من ولد ابراهيم عليه السلام ويزيدون على ذلك فيسمون أبناءه أيضا وهم أربعة وعشرون ، اختيرت لهم

---

(١٠) ن•م عن ابن سعد فى الطبقة الرابعة •
(١١) اليعقوبى : تاريخ : (Houtsma) حـ ١ ص ٢٦٤ •
(١٢) ابن قتيبة : المعارف سنة ١٩٣٤م ص ٤٦ راجع أيضا اليعقوبى : تاريخ حـ ١ ص ٢٦٤ •
(١٣) القلقشندى : نهاية الارب (قاهرة سنة ١٩٥٩) ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦ •
(١٤) الثعلبى : قصص الانبياء (سنة ١٣٠١) ص ٨٨ ـ ٨٩ •
(١٥) ابن عبد ربه : العقد (سنة ١٩٤٠) حـ ٣ ص ٣٥١ •

أغرب الأسماء وأعجبها وقعا ، أذكر منها على سبيل المثال :

الشرعبى ، السبندى • السندرى • السرندى • البلندى •••

وبيهس ، عسعس • العملّس • العدبّس • ملادس • العرندس ••• الخ[١٦] • وكأنها من أسماء الجن !

فليس غريبا اذن ، على هذا التدبير وهذا الاعتراف بعلاقة لخم عامة بابراهيم والانبياء أن يجعل الرواة من اللخميين أصحاب حق يطالبون به ـ على لسان تميم الدارى ـ ، فى الاسلام ، اذ يطلب الى النبى محمد أن يقطعه بأرض حبرون حيث قبر ابراهيم ـ كما سنرى ـ وان يوافق النبى ـ على حد قول الرواة ـ ويستشهد قائلا :

« ان أولى الناس بابراهيم الذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا معه • والله ولى المؤمنين »[١٧] •

هذا الى أن لخما أيضا يتصل تاريخها بتاريخ ملوك الحيرة الذين حكموا فيها خمس مائة سنة ، وشخصيات من لخم تبرز فى تاريخ الحيرة ، وفى القصص المنقول عن الروم • فعمرو بن عدى بن نصر اول من ملك من لخم ، وهو الذى قتل الزباء ، وله قصة مع جذيمة الابرش[١٨] • ولنشأة عمرو هذا صلة بالجن أيضا ، وهو الذى قيل فيه المثل « شب عمرو عن الطوق »[١٩] الخ ••

على أن قبيلة لخم تبدأ بالتراجع نحو زوايا النسيان عند ظهور الاسلام، حتى لا نكاد نسمع عنها الا القليل من الاشارات التى تؤكد علاقة اللخميين بالنصرانية ، وبالروم وبفلسطين والشام •• الخ • ففى أوائل الاسلام نسمع بلخم وجذام وهم على أطراف الجزيرة العربية ، ويرد ذكرهم فى الحروب الاولى للمسلمين ، فقد توجه « رسول الله (ص) الى تبوك من أرض الشام

---

(١٦) ابن دريد : الاشتقاق ص ٣٧٨ •

(١٧) ابن عساكر : التاريخ • حـ ٣ ص ٣٥١ •

(١٨) ابن دريد : الاشتقاق ص ٣٧٧ •

(١٩) البلخى : البدء والتاريخ (ط Huart) حـ ٣ ص ١٩٦ • كذلك ابن دريد : ن • م •

لغزو من انتهى اليه انه قد تجمع له من الروم وعاملة ولخم وجذام وغيرهم. وذلك سنة ٩ للهجرة[٢٠] . وفى حرب اليرموك يستعين هرقل « ملك الشام والروم وانطاكية » بجبلة بن الايهم فيأتيه فى من معه من لخم وجذام[٢١] ، أما قصة جبلة بن الايهم واسلامه زمن النبى أو عمر ، ثم ارتداده عن الاسلام فأشهر من ان تذكر[٢٢]) .

ونسمع بقوم من الازد وجذام وجميعهم من أهل اليمن يسكنون الجبل الشرقى لمدينة برقة من بلاد المغرب[٢٣] . ونسمع أيضا عن قوم من جذام فى كورة بيت جبرين وهى مدينة قديمة تدخل ضمن جند فلسطين[٢٤] . وان جند فلسطين اخلاط من العرب من لخم وجذام وعاملة وكندة . وتنسب الى لخم وجذام بعض البطولات والايام المشهودة ، قال الحمدانى : « وبالاسكندرية من جذام ولخم أقوام ذوو عدد وعدة ، وأهل شجاعة واقدام وضرب بالسيف ورشق بالسهام ، ولهم أيام معلومة وأخبار معروفة ووقائع فى البر والبحر مشهودة »[٢٥] ويقال ان جذاما هم اول من سكن مصر من العرب ، جاؤوا فى الفتح مع عمرو بن العاص[٢٦] .

وبعد فترة من الزمن نسمع ان هذه القبيلة تنتشر بطونها فى انحاء جديدة من العالم الاسلامى ، فبطون لواته يقولون انهم من ولد لواته بن بر بن قيس عيلان ، وبعضهم يقول انهم قوم من لخم كان اولهم من أهل الشام فنقلوا هذه الديار [الحديث عن برقة من بلاد المغرب] وبعضهم يقول

---

(٢٠) البلاذرى : فتوح حـ ٢ ص ١٨٤ ؛ ابن سعد : الطبقات (دار صادر) حـ ٦ ص ١٦٥ .

(٢١) البلخى : البدء حـ ٥ ص ١٨٤ . البلاذرى : ن.م .

(٢٢) ابن عبد ربه : العقد حـ ١ ص ٢٨٩ ـ ص ٢٩٥ . وتروى بشكل مختلف عند البيهقى : المحاسن والمساوى فى (مساوىء من ارتد عن الاسلام) .

(٢٣) اليعقوبى : البلدان ص ٣٤٣ .

(٢٤) ن.م.ص ٣٢٩ .

(٢٥) القلقشندى : نهاية ص ٢٠٦ .

(٢٦) ن.م .

انهم من الروم[٢٧] .

القصد من متابعة هذه الاشارات هو متابعة هذه الصلة التى تظهرها لنا النصوص المختلفة للخم : صلتها بالروم وبأطراف الجزيرة من جهة ، ثم بابراهيم والانبياء او النصرانية من جهة أخرى ، وأخيرا بالاسلام .

وأنا أرى أن كون تميم بالذات يختار لتدور على لسانه او حول شخصه أحاديث غريبة او تنسب اليه اول القصص فى الاسلام ، ثم يجىء الجاحظ فيورد اسمه متعمدا على لسان أحد قصاصه المحتالين ، او يتساءل هو فى رسالته التربيع والتدوير عنه ، لا ترجع أسبابه الى الصدفة المحضة ، او الى شخص تميم وحسب ، وانما الى نسبه الذى يرجع به النسابون الى هذه القبيلة بالذات ، والى هذه العلاقات التى ترتبط بها القبيلة ، فتؤهلها أن تكون أرضا خصبة لمثل هذه الاساطير والخيال الروائى . ثم لا تخفى علاقة اللخميين بهذا المركز الحضارى الذى كان مصدرا مهما للقصص قبل الاسلام وعند ظهوره: أعنى الحيرة ، فقد قيل ان النضر بن الحارث الذى كان يقص على أهل مكة قصص رستم واسفنديار ، كان قد تعلم ذلك فى الحيرة نفسها .

وقبل أن أنهى الحديث عن أصل تميم ونسبه وقبيلته ، أود أن أشير الى أن الجاحظ يذكر قبيلتى لخم وجذام فى مناسبة قد تبدو غامضة بعض الشىء لاسيما وهو يخصهما بالقول دون سواهما من القبائل ، يقول الجاحظ:

« وكان الحسن اذا ذكر الحجاج يقول : يتلو كتاب الله على لخم وجذام ، ويعظ عظة الازارقة ويبطش بطش الجبارين[٢٨] » .

فهل فى قوله ما يدل على جرأة الحجاج ، أى انه يجرؤ حتى على قراءة القرآن على لخم وجذام رغم انهم عرفوا بميلهم عنه الى النصرانية ، لا سيما وقد اتبعه بقوله انه يعظ عظة الازارقة ويبطش بطش الجبارين ، أى كأنه يستطيع ان يتلون هذا التلون دون خشية ، ويردفه بقوله :

---

(٢٧) اليعقوبى : البلدان : ص ٣٤٤ .

(٢٨) البيان . (ط عبدالسلام هرون) حـ ٣ ص ١٦٤ .

« اتقوا الله فان عند الله حجاجين كثيرا »

هذا مع العلم ان لخما اشتهرت من بين كثير من القبائل العربية بالنصرانية ، منذ الجاهلية ، وقد قال الجاحظ فى موضع آخر :

« هذا مع ما كان فى العرب من النصارى الذين يخالفون دين مشركى العرب كل الخلاف كتغلب وشيبان وعبدالقيس وقضاعة وغسان وسليح والعباد وتنوخ وعاملة ولخم وجذام وكثير من بلحارث بن كعب ، وهم خلطاء وأعداء يغاورون ويسبون ويسبى منهم ، وفيهم الثؤور والاوتار والطوائل وهى العرب وألسنتها الحداد »(٢٩) .

على أن بعض الرواة يثير شكا حول صحة انتساب تميم الدارى الى أصل عربى ، بل قيل هو مولى ، قيل : « فرض عمر لأهل بدر عربهم ومواليهم فى خمسة آلاف ، وقال لأفضلنهم على من سواهم .. عن عامر قال : كان فيهم خمسة من العجم منهم تميم الدارى وبلال . قال وكيع : الدار من لخم ولكن الشعبى قال هذا ! (٣٠) » .

★ ★ ★

ولنرجع الى الحديث عن تميم نفسه : يقال ان تميما الدارى هذا كان من الصحابة ، وانه كان يدين بالنصرانية قبل الاسلام ، ثم أسلم . وتروى فى خبر اسلامه قصة طريفة تصله بالجن وتنسب اليه الحديث الى شخصيات غير مرئية ، وتروى القصة على لسانه هو :

« .. قال تميم الدارى كنت بالشام حين بعث رسول الله (صلعم) فخرجت الى بعض حاجتى وادركنى الليل ، فقلت : أنا فى جوار عظيم هذا الوادى الليلة ، قال فلما أخذت مضجعى اذا مناد ينادى لا أراه : عذ بالله فان الجن لا تجير أحدا على الله ، فقلت : ايم تقول فقال : قد خرج رسول الله (صلعم) وصلينا خلفه بالحجون وأسلمنا واتبعناه وذهب كيد الجن ،

(٢٩) الجاحظ : الحيوان (ط عبدالسلام هرون) . حـ ٧ ص ٢١٦ .
(٣٠) البلاذرى : فتوح . حـ ٥ ص ٦٣٧ ـ ٣٨ .

ورُميت بالشهب فانطلق الى محمد وأسلم ، فلما أصبحت ذهبت الى دير أيوب فسألت راهبا به وأخبرته الخبر فقال : قد صدقوك تجد يخرج من الحرم ومهاجرة الحرم وهو آخر الانبياء فلا تسبق اليه فتكلفت الشخوص حتى جئت رسول الله (صلعم) فأسلمت » [٣١] .

وان تميما لقب فى الاسلام بلقب راهب الامة[٣٢] . وترد رواية متأخرة فى انه تزوج بأخت أبى بكر ، على أن الرواية غريبة فى بابها عن أمر هذه العلاقة ، ولم أجدها عند غير البلخى ؛ يقول : « .. ولا يعرف لأبى بكر أخ ولكن له أختان ام فروة بنت ابى قحافة تزوجها تميم الدارى ثم لما رجع الاشعث بن قيس الى الاسلام بعد ردته زوجها منه أبو بكر[٣٣]» (كذا !) ..

وتؤكد أكثر من رواية أن تميم الدارى كان قد ارتكب سرقة مال أحد أصحابه أيضا قبل أن يسلم لكنه أدرك النبى وأسلم وغفر له ، ونزلت فيه بعض آيات القرآن على أن الخبر ورد بأشكال مختلفة جعلت بعض المؤرخين يشك ـ قبلنا ـ فى صحتها ، لاسيما بعض ما روى باسناد محمد بن السائب الكلبى الراوية المعروف[٣٤] .

ويقترن اسم تميم فى بعض الروايات بشخصيات معروفة فى التاريخ الاسلامى كشخصية سلمان الفارسى مثلا ، فنجد الدارى على مستوى واحد مع سلمان الفارسى فى علمه ، يقول قتادة : « فى قوله تعالى ومن عنده علم

---

(٣١) المقريزى : ضوء السارى . ص ١٧١ ـ ٧٢ ، وبشىء من الاختلاف عند ابن عساكر : التاريخ . حـ ٣ ص ٣٥٥ .

(٣٢) راجع :
De Slane, Ibn Khallikan, Wafyat., Vol. II p. 21, note 3.,
نقلا عن مخطوط بعنوان (مجمع الاحباب) ، راجع أيضا . العسقلانى : لسان الميزان (ط ؟) حـ ١ ص ٣٧٢ .

(٣٣) البلخى : البدء والتاريخ حـ ٥ ص ٧٧ .

(٣٤) المقريزى : ضوء السارى ص ١٦٨ وابن عساكر (عن الترمذى) : التاريخ . حـ ٣ ص ٣٥٤ ـ ٥٥ ، والذهبى فى : العسقلانى لسان الميزان حـ ١ ص ٣٧٢ .

الكتاب قال : منهم عبدالله بن سلام ، وسلمان الفارسى ، وتميم الدارى[٣٥] » .

كما تقترن شخصيته ببعض الشخصيات البطولية فى الاسلام ، كشخصية موسى بن نصير الذى كاد أن يصبح فى بعض السير كشخص عنترة ، وهو فى الواقع من الشخصيات التاريخية التى استغلتها قصص ألف ليلة وليلة مثلا . وقيل ان موسى بن نصير روى عن تميم الدارى ، ويتضح فى الرواية عطف تميم الدارى على الروم ـ قال موسى بن نصير :

« كان تميم الدارى فى البحر غازيا ، فكان يرسل الي لأرسل اليه بالاسارى من الروم فيتصدق عليهم ويأمر بهم فيغسلوا ويدهنوا ويمشطوا »[٣٦] .

وعن موسى بن نصير أيضا قال : « كنا فى غزاة مع تميم الدارى فى البحر فكان يأمرنا بمشط رؤوس الاسارى ودهنهم »[٣٧] .

وتميم الدارى وموسى بن نصير كلاهما كانا من أبناء بلد واحد ، من بلد الخليل بقرب البيت المقدس[٣٨] وينسب الى تميم حتى الجمع الاول للقرآن فى حياة النبى فى جملة ممن كتبه من الصحابة ، فيهم أبىّ بن كعب وزيد بن ثابت[٣٩] .

وتميم كان الاول فى فعل أشياء كثيرة فى الاسلام كان فيها المبتدى المبتدع ، فمن جملة ما فعله انه كان : أول من قص فى الاسلام بأمر من عمر اذ جعل له يوما واحدا فى الاسبوع ، فلما كان زمن عثمان جعل له يوما آخر[٤٠] ، وهو أول من أسرج فى المسجد[٤١] ، وهو من أوائل من ختم القرآن فى الليلة الواحدة ثمانى مرات ، ولتنسكه وعبادته قام سنة

---

(٣٥) المقريزى : ن٠م ص ١٧٢ .
(٣٦) ن٠م ٠ ص ١٧٦ .
(٣٧) ن٠م .
(٣٨) ترجمته فى ابن خلكان : وفيات (مكتبة النهضة) حـ ٤ ص ٤٠٢ ، وياقوت : معجم البلدان : حـ ٢ ص ٤٦٨ .
(٣٩) المقريزى : ن٠م ص ١٧٢ .
(٤٠) ابن عساكر : التاريخ حـ ٣ ص ٣٥٧ .
(٤١) ن٠م ٠ وأيضا العسقلانى : لسان الميزان حـ ١ ص ٣٧٢ .

يتهجد ويصلى لأنه أغفل ونام ليلة واحدة ، وقد جلس الى مجلس وعظه عمر بن الخطاب نفسه ، واعترف بفضله : قيل وفى سنة ١٤هـ « سن عمر بن الخطاب قيام شهر رمضان وكتب بذلك الى البلدان وأمر أبى بن كعب وتميم الدارى أن يصليا بالناس ، فقيل له فى ذلك ان رسول الله لم يفعله وان أبا بكر لم يفعله ، فقال : ان تكن بدعة فما أحسنها من بدعة »[٤٢] .

كما روى عنه النبى نفسه فى اوصاف العذاب والموت الى جانب قصة الجساسة [٤٣] ، بل وتنسب اليه بعض المعجزات « أخرج البيهقى عن معاوية بن حرمل أن نارا ظهرت بالحرة فى زمن عمر فقال لتميم : قم الى هذه النار ؟ فانطلق اليها تميم وجعل يحوشها بيده حتى دخلت الشعب ودخل خلفها فجعل عمر يقول : ليس من رأى كمن لم ير »[٤٤] .

وقيل انه صنع المنبر الاول للنبى فى مسجده ، وقد كان من قبل يجلس على جذع نخلة[٤٥] ، ثم فوق كل هذا وذاك كان تميم اول من أقطعه النبّي أرضا لم تكن فتحت بعد ، وسأتحدث عنها فيما بعد .

ومعرفة تميم وعلمه لم يقتصرا على كل ذلك وانما يتصل اسمه بمظهر مهم من مظاهر الحياة الفكرية فى الاسلام ، هو هذه الصلة التى نجدها بين عناصر الثقافات المختلفة ، التى تم امتزاجها بصورة خاصة فى العصر العباسى ، وبدأت تعبر عن نفسها بأشكال مختلفة ، بما فى ذلك الادب ، والقصص بصورة خاصة . ويبدو هذا المزج واضحا حين نتفحص شخصية تميم الدارى هذا ، وطبيعة القصص التى نسبت اليه ، لا سيما قصة المسيح الدجال ودابة الارض ، والجساسة التى تكاد المصادر التى تذكر تميما جميعها تتفق على نسبتها اليه ، وان النبى نفسه نقل عنه حديث الجساسة .

قال الحافظ ابن عساكر : « أخرج الحافظ بسنده الى فاطمة بنت قيس انها قالت : نادى النبى (ص) الصلاة جامعة . ثم جلس على منبره ثم أقبل

---

(٤٢) اليعقوبى : تاريخ . حـ ٢ ص ١٥٩ .
(٤٣) ابن عساكر : التاريخ حـ ٣ ص ٣٤٨ ـ ٥٠ .
(٤٤) ن.م . حـ ٣ ص ٣٥٦ ـ ٥٧ .
(٤٥) راجع رحلة ابن بطوطه (دار صادر) ص ١١٩ .

علينا بوجهه فتبسم وقال : انى لم أدعكم لرغبة ولا لرهبة ، ولـكن جمعتكم لحديث حدثنيه تميم ان تميما أتانى فبايعنى وحسن اسلامه فأخبرنى انـه ركب البحر فى ناس من لخم وجذام فى سفينة ، وذكر حديث الجساسة. قال الحافظ : هذا حديث غريب[٤٦] » .

وفى حديث الجساسة جاء على لسان النبى :

« .. ان تميما الدارى حدثنى انـه ركب البحر فى نفـر من أهـل فلسطين فرمت بهم الريح الى جزيرة فخرجوا فاذا هم بشىء طويل الشعر كبير ... فقلنا لها : ألا تخبرينا وتستخبرينا ، فقالت : ما أنا بمخبركم شيئا ولا مستخبركم ولـكن ايتوا هذا الدير فان فيه من هو فقير اليكم يستخبركم. قالوا : ما انت قالت : أنا الجساسة فأتينا الدير فاذا فيه انسان نضر وجهه به زمانه ، قال : وأحسبه موثق . قال : من أنتم قلنا نفر من العرب . فقال : هل خرج نبيكم قالوا : نعم قال : ما صنعتم ؟ قلنا : اتبعوه قال : أما ان ذلك خير لهم . قال : فما فعلت فارس والروم قلنا : العرب تغزوهم ، قال : فما فعلت البحيرة ، قلنا ملأى تتدفق قال : فما فعل نخل الاردن وفلسطين قلنا : قد أطعم قال : فما فعل زغر قلنا تسقى ويسقى منها . فقال : أما أنا فمسلط على الارض كلها ليس طيبة . قال رسول الله (ص) : طيبة المدينة لا يدخلها »[٤٧] .

وقد نقلت أكثر المصادر هذا الحديث مفصلا او مختصرا او أشارت اليه منقولا عن تميم الدارى[٤٨] . أما المسعودى ، ينقل الحديث مختصرا ويضيف فى وصف هذا المخلوق حبيس القصر قائلا : « .. وانه خاطبهم وساءلهم وانه الدجال ، وانه اخبرهم بجمل من الملاحم »![٤٩]

---

(٤٦) التاريخ : حـ ٣ ص ٣٤٤ .

(٤٧) ن.م .

(٤٨) راجع : العسقلانى : لسان حـ ١ ص ٣٧٢ ، ابن الاثير : اسد الغابة : حـ ١ ص ٢١٥ ـ قال : حدث عنه (أى عن تميم) النبى حديث الجساسه وهو حديث صحيح !

(٤٩) مروج : حـ ٤ ص ٢٧ .

وأضاف المسعودي على ذلك معلقا :

« •• وهذا باب يكثر ويتسع وصفه ويعظم شرحه •• »

وحين كتب المقريزى رسالته الخاصة فى تميم الدراى ، أفاض فى وصف حديث الجساسة ونقله بتفصيل أكبر ، على أن الحديث ينقل فى كل الاحوال تقريبا مسندا الى فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس ؛ قال المقريزى فى هذا الحديث (منقولا عن فاطمة أيضا) :

« •• سمعت المنادى منادى رسول الله (صعم) ينادى الصلاة جامعة فخرجت الى المسجد فصليت مع رسول الله وكنت فى صف النساء الذى يلى ظهر القوم فلما قضى رسول الله (صلعم) صلاته جلس على المنبر وهو يضحك فقال : ليلزم كل انسان مصلاه ، ثم قال : اتدرون لم جمعتكم ؟ فقالوا : الله ورسوله أعلم • قال : انى والله ما جمعتكم لرغبة ولا رهبة ولكن جمعتكم لان تميما الدارى كان رجلا نصرانيا فجاء وبايع وأسلم وحدثنى حديثا وافق الذى كنت أحدثكم عن مسيح الدجال • حدثنى انه ركب فى سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا من لخم وجذام فلعبت بهم الموج شهرا فى البحر ثم ارفوا الى جزيرة فى البحر حيث مغرب الشمس فجلسوا فى أقرب السفينة فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلب كثير الشعر لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر •

فقالوا : ويلك ما انت قالت : الجساسة قالوا : وما الجساسة ؟ قالت : ايها القوم انطلقوا الى هذا الرجل فى الدير فانه الى خبركم بالاشواق ، قال : فلما سمت لنا رجلا فرقنا منها ان تكون شيطانة فانطلقنا سراعا حتى دخلنا الدير فاذا فيه أعظم انسان رأينا قط خلقا واشده وثاقا مجموعة يداه الى عنقه ما بين ركبتيه بالحديد الى كعبيه ، قلنا ويلك ما انت قال : قد قدرتم على خبرى ، فأخبرونى ما أنتم • قالوا : نحن أناس من العرب ركبنا سفينة بحرية فصادفنا البحر حين اغتلم فلعب بنا الموج شهرا ثم ارفأنا الى جزيرتك هذه فجلسنا فى أقربنا فدخلنا الجزيرة فلقينا دابة أهلب كثير الشعر لايدرى ما قبله من دبره من كثرة الشعر ، فقلنا ويلك ما انت قالت : الجساسة قلنا

وما الجساسة قالت : اعبروا الى هذا الرجل فى الدير فانه الى خبركم بالاشواق فأقبلنا اليك سراعا وفزعنا منها ولم نأمن أن تكون شيطانة .

قال : اخبرونى عن نخل بيسان ، قلنا : عن أى شأنها تستخبر قال : أسألكم عن نخلها هل يثمر فقلنا نعم ، قال : أما انها يوشك ان لا تثمر ، قال : اخبرونى عن بحيرة طبرية ، قلنا : عن أى شأنها تستخبر قال : هل فيها ماء قالوا : هى كثيرة الماء . قال : أما انها يوشك أن يذهب . قال : أخبرونى عن عين زغر قالوا : عن أى شأنها تستخبر ، قال : هل فى العين ماء وهل يزرع أهلها بماء العين ، قلنا له نعم هى كثيرة الماء واهلها يزرعون من مائها قال اخبرونى عن نبى الأميين ما فعل : قالوا : خرج من مكة ونزل يثرب قال : أقاتله العرب ، قلنا : نعم ، قال : كيف صنع بهم ، فأخبرناه انه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه ، قال لهم : قد كان ذلك ؟ قلنا نعم . قال : أما ان ذلك خير لهم ان يطيعوه ، وانى مخبركم عنى انى انا المسيح ، وانى اوشك ان يؤذن لى فى الخروج فأخرج فى الارض فلا أدع قرية الا هبطتها فى اربعين ليلة الا مكة وطيبة فهما محرمتان على كلتاهما ، كلما اردت ان ادخل واحدة او واحدا منها استقبلنى ملك بيده السيف صلتا يصدنى عنها وان على كل نقب منها ملائكة يحرسونها .

قال [ت] قال رسول الله (صلعم) وطعن بمخصرته فى المنبر : هذه طيبة ، هذه طيبة يعنى المدينة ، ألا هل كنت احدثكم ذلك فقال الناس : نعم . قال فانه أعجبنى حديث تميم انه وافق الذى كنت أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة ، الا انه فى بحر الشام وبحر اليمن لا بل هو من قبل المشرق ما هو من قبل المشرق ما هو من قبل المشرق ما هو ؟ وأومأ بيده الى المشرق قالت : فحفظت هذا عن رسول الله (صلعم) »[٥٠] .

والمعروف ان فكرة المسيح الدجال تنعكس فيها صور للحياة الفكرية والسياسية للمجتمع الاسلامى ،والعباسى بصورة خاصة ، وكثيرا ما تستعار هذه الصور من مصادر غير اسلامية . ويبدو ان السبب الرئيس الذى من

---

(٥٠) المقريزى : ضوء السارى ص ١٥٤ ـ ١٥٦ .

أجله نسبت هذه القصة ـ فى المصادر الاسلامية ـ الى تميم الدارى بالذات انه كان نصرانيا وأسلم ـ على ما تدعى الروايات ـ وانه كان على اتصال بالاصول المسيحية للفكرة ، هذا يضاف الى انه من لخم ، القبيلة التى يتصل تأريخها قبل الاسلام بتاريخ ابراهيم والانبياء • ولا نستطيع أن نتجاهل الطابع الاسلامى فى القصة ، من تفضيل للدعوة الاسلامية وللنبى •

ولكى تتم جوانب صورة الدارى فى الادب العربى ، والقصص والاحاديث خاصة ، ولكى نفسر علاقة الداريين ـ حتى من بعد الاسلام ـ بيت المقدس وفلسطين وبيت ابراهيم •• الخ لا بد من ملاحظة أمر آخر مهم ، ترجع أصوله من قبل الرواة ، الى النبى محمد نفسه ، وأقصد بذلك مسألة الاقطاع التى قيل فيها ان النبى أعطى تميما أرضا فى فلسطين • والذى يهمنى فى هذا البحث ان هذا الاقطاع سواء كان منه صورته التى كتب فيها أو الموضع الذى أقطع من فلسطين ، ما هو الا تتمة لجوانب هذه الصورة التى اتحدث عنها لتميم الدارى واعنى بذلك :

شخصية القاص التى ترتبط بالاسرائيليات القديمة من جهة ، وبالاسلام من جهة أخرى • أما بقية العوامل ـ وهى كون تميم من لخم ، ومن أصل نصرانى ، ومن سلالة ابراهيم النبى •• الخ • فهى عوامل مساعدة على بناء هذه الشخصية الغريبة فى القصاص •

فعلاقة تميم بهذا الاقطاع من جهة ، وبالموضع الذى أقطع فيه هى تأكيد واعتراف للداريين واللخميين على العموم بعلاقتهم بالانبياء ، وبالبيت المقدس ، والرابط بين هؤلاء جميعا والاسلام ، انما هو تميم الدارى نفسه الذى أسلم •

* * *

تروى المصادر التى بين أيدينا صورة هذا الاقطاع بأشكال مختلفة • وقد قيل ان النبى كتبه فى مكة ثم أكده ثانية بعد الهجرة فى المدينة ، وان تميما وفد عليه فى الحالتين ـ أى فى مكة وفى المدينة[٥١] • على أن

(٥١) المقريزى : ضوء السارى • ص ١٦٠ ـ ٦١ •

الروايات تتفق فى بعض الخطوط العامة ، ومن ذلك ان تميما هو الذى عين المواضع التى أقطعها ، وانه وفد بجمع من الداريين يختلف عددهم ، باختلاف الروايات • على انه قبل أن أشير الى بعض صور هذا الاقطاع اود أن أشير الى أن المهم عندى هناليس هو الصدق التأريخى لهذه النصوص او الاحداث ، بل هو دلالتها على شخصية تميم وعناصر هذه الشخصية •

قال المقريزى : « وخرج ابن عساكر من طريق حميد بن زنجوية فى كتاب الاموال قال حدثنا الهيثم بن عدى قال : انبأنى يونس عن الزهرى وثور بن يزيد عن راشد بن سعد قال : قام تميم الدارى وهم تميم بن اوس ، رجل من لخم ، فقال : يا رسول الله ان لى جيرة من الروم بفلسطين لهم قرية يقال لها حبرى ، وأخرى يقال لها : بيت عينون ، فان فتح الله عليك الشام فهبهما لى ، قال : هما لك • قال فاكتب لى بذلك كتابا فكتب له :

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من محمد رسول الله لتميم بن أوس الدارى ان له قرية حبرى وبيت عينون كلها سهلها وجبلها وماؤها وحرثها وانباطها ، ولعقبة من بعده لا يحاقه ولا يلجها عليهم أحد بظلم ، فمن ظلمهم او أخذ منهم شيئا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين • وكتب علي »[٥٢] •

وفى رواية أخرى :

« •• فدعا رسول الله (صلعم) بقطعة جلد من ادم فكتب فيه كتابا نسخته : بسم الله الرحمن الرحيم • هذا ما وهب محمد رسول الله الداريين ان أعطاه الله الارض ، وهب لهم بيت عين وحبرون وبيت ابراهيم بما فيهن لهم أبدا ، شهد عباس بن عبدالمطلب وجهم بن قيس وشرحبيل بن حسنة وكتب • قال : ثم دخل بالكتاب الى منزله وغشاه بشيء لا نعرفه وعقده من خارج الرقعة بسير عقدين وخرج الينا به مطويا وهو يقول : ان اولى الناس بابراهيم الذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين • ثم قال :

---

(٥٢) ن٠م ٠ ص ١٦٣ ٠

انصرفوا حتى تسمعوا بى قد هاجرت »[٥٣] .

ثم يجدد النبى لهم كتاب الاقطاع بعد الهجرة فى المدينة ويشهد على ذلك كلا من أبى بكر بن ابى قحافة وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ، وعلي بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان[٥٤] . ولا نستطيع الا نلاحظ هذا التسلس التأريخى الذى وردت فيه أسماء الشهود[٥٥] .

وهناك صور أخرى للاقطاع وروايات كثيرة ، سواء منها ما كان فى كتب الحديث او الفقه او غيرها[٥٦] . لكن المصادر المتأخرة جدا تشير الى أمور تسترعى نظر الباحث ، قد لا تشير اليها المصادر المتقدمة أبدا . ويبدو فى هذه المسألة أثر العامل الزمنى واضحا فى التأثير على محتواها وشخصياتها. ففى كتاب انس الجليل لمجيرالدين الحنبلى ـ وهو من كتاب القرن العاشر الهجرى ، جاءت أمور حول هذا الاقطاع لم توردها المصادر الاولى ، وان كان يبدو لى ان المؤلف ينقل عن ابن فضل‌الله العمرى (من كتّاب القرن الثامن الهجرى) ، عن كتابه (مسالك الابصار) ، الا انه لايشير الى ذلك .

قال الحنبلى :

« اقطاع تميم الدارى الذى أقطعه له النبى (ص) وهى الارض التى بها بلد سيدنا الخليل عليه السلام وما حولها من الارض وكتب له ذلك فى قطعة اديم من خف أمير المؤمنين علي بن أبى طالب (رض) ، وقد حكى

---

(٥٣) ن.م . ص ١٦٠ . وايضا : ابن الفركاح : كتاب باعث النفوس الى زيارة القدس المحروس ، نشره وقدّم له
Ch. D. Mathews; Jpos, Vol. XIV 1934 no. 4 pp. 284-93; Vol. XV 1935, no. 1-2 pp. 51-87.

(٥٤) ن.م . ص ١٦٢ .

(٥٥) راجع المقال الذى كتبه F. Krenkow فى :
Islanica Leipzig vol. I 1924-25 pp. 524-32

بعنوان :
"The Grant of Land by Muhammad to Tamin ad-Dari"

(٥٦) راجع مثلا : ابن سلاّم : الاموال (سنة ١٩٥٣) ص ٢٧٤ ، ابو يوسف : الخراج (السلفيه) ص ٢١٦ .

المؤرخون لفظ الانطا على وجوه مختلفة وقد رأيت عند المتكلم[٥٧] عن الاقطاع المشار اليه القطعة الاديم التى يقال انها من خف أمير المؤمنين علي بن أبى طالب (رض) ، وقد صارت رثة وفيها بعض اثر الكتابة ، ورأيت معها ورقة مكتوبة فى الصندوق الذى فيه القطعة الادم منسوب خط هذه الورقة الى امير المؤمنين المستنجد بالله العباسى ، تغمده الله برحمته كتب فيها نسخة الانطا • صورة ما كتبه :

« الحمد لله نسخة كتاب رسول الله (ص) الذى كتبه لتميم الدارى وأخوته فى سنة تسع من الهجرة الشريفة بعد منصرفه من غزوة تبوك فى قطعة أديم من خف أمير المؤمنين علي وبخطه نسخته كهيئته : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما انطا محمد رسول الله لتميم الدارى واخوته ، حبرون والمرطوم وبيت عينون وبيت ابراهيم وما فيهن نطيّه بت بدمنهم [بذمتهم ؟] ونفذت وسلمت ذلك لهم ولاعقابهم •• »[٥٨] •

والشك عظيم حول صحة نسبة هذا الاقطاع الى النبى • ويظن ان الداريين وضعوه فى حوالى نهاية حكم الراشدين وقبل حوالى سنة ٣٧ هـ أو سنة ٤٠هـ او ربما قبل تولى معاوية الخلافة[٥٩] •

والمهم فى بحثنا هنا الدلالة التى تحملها هذه النصوص ، وبصورة خاصة ما يتعلق منها بتميم الدارى من جهة وبالموضع الذى قيل ان الاقطاع أعطى فيه ، وهو حبرون او المرطوم وبيت ابراهيم •

ان هذا الموضع مهم بالنسبة لبحثى هذا • فجميع صور الاقطاع تقريبا

---

(٥٧) لست ادرى اذا كان المقصود بهذا ان الحنبلى رأى صورة الاقطاع بنفسه ، أو هو ينقل كلام ابن فضل الله العمرى الذى يبدو انه رأى الاقطاع بنفسه فى حبرون ، عند احد ورثة تميم الدارى ، كما ذكر فى (مسالك الابصار) : ط سنة ١٩٢٤ ، حـ ١ ص ١٧٢ ـ ١٧٥ ، على ان المؤلفين يتفقان فى التفاصيل •

(٥٨) انس الجليل تاريخ القدس والخليل : مخطوطة المتحف البريطانى (or. 1546) ، ورقة ١٧٤ آ ، ب • والكتاب مطبوع فى القاهرة سنة ١٢٨٣هـ •

(٥٩) راجع مقالة Krenkow المذكورة سابقا •

تتفق على أن موضع الاقطاع كان فى حبرون أو عينون والمرطوم • وحبرون هى من أرض فلسطين • وترجع أهميتها الى أزمان تاريخية قديمة تربطها بصورة وثيقة بتاريخ الانبياء ، لاسيما بابراهيم وأبنائه من بعده • فقد قيل : (ان ابراهيم (صلعم) لما نجاه الله من النار خرج من أرض بابل الى أرض المقدسة ومعه سارة وابن أخيه لوط ورهط من قومه حتى وردوا حـران فأقاموا بها زمانا ثم خرجوا الى الاردن ، ودفعوا الى مدينة بها جبار ، وهو الذى تعرض لسارة ومنعها الله تعالى منه قال : وخرج ذلك الجبار من تلك المدينة وورثها الله تعالى ابراهيم (عم) فأثرى بها ابراهيم وانمى الله تعالى ماله وزد عليه الرزق فقاسم ابراهيم ابن أخيه لوطا (عم) فأعطاه نصفها ومات ابراهيم فدفن فى حبرون قرية الجبابرة وفيها دفنت سارة فى مزرعة كان قد اشتراها ابراهيم (عم) • » (٦٠)

وان اولاده من بعده قد دفنوا فى مغارة حبرون بما فى ذلك اسحاق ويعقوب واولادهما وزوجاتهم (٦١) ••

وتعين المصادر موضع الغار الذى دفن فيه ابراهيم زوجته سارة ودفن الى جانبها ، وترجع بعض الروايات أهمية هذه البقعة وقدسيتها الى زمن آدم نفسه « قال أهل العلم لما خرج ابراهيم (عم) من كوثا نزل بالشام فى ناحية فلسطين فى الموضع الذى يعرف اليوم بوادى السبع واتفق له مع أهله ما اتفق ثم نزل اللجون وأقام بها ما شاء الله ثم أوحى الله تعالى اليه أن أنزل ممرا فرحل ونزل عليه جبريل وميكايل (عم) بممرا ، وهما يريدان قوم لوط ، فخرج ابراهيم ليذبح العجل فانفلت منه فلم يزل حتى دخل مغارة حبرون ، ونودى : يا ابراهيم سلم على عظام ابيك آدم (عم) وعلى جميع

---

(٦٠) ابن الفركاح : باعث النفوس ص ٨٢ •

(٦١) ابو الفداء : مثير الغرام الى زيارة الخليل عليه السلام • نشره Ch. D.Mathews أيضا فى
Jpos, vol. XVII no. 2 pp. 108-137, no. 3-4 pp. 149-208.
وابو الفـدا كان خطيبـا فى مسجد « مقـام الخليل » فى حبرون • توفى سنة ٨٣٣هـ •

النبيين فوقع ذلك فى نفس ابراهيم (عم) . ثم ذبح العجل وقدمه اليهم وكان من شأنه ما قص الله تعالى فى كتابه »[٦٢] .

وان المغارة أحيطت بحائط لم يصل اليه أحد حتى جاءت الروم ففتحوا له بابا ودخلوا اليه وبنوا فيه كنيسة ، ثم ان الله تعالى أظهر الاسلام بعد ذلك وملك المسلمون تلك الديار[٦٣] . وقصة الحائط تروى فيها روايات مختلفة، قيل بناه سليمان بن داود بوحى من الله وان نورا قد التزق بعنان السماء من فوق المغارة دل سليمان على الموضع فبناه[٦٤]. وقيل ان الحصن كان من بناء الجن من حجارة عظيمة منقوشة[٦٥] ، وقيل بناه اولاد يعقوب او أخوته وحوطوا على المغارة حائطا وعلموا فيه علامات القبور[٦٦] .

وحبرون اشتهرت ببيت ابراهيم ، وقد سميت باسمه فيما بعد (بلد الخليل) ، قال ياقوت : « الخليل اسم موضع وبلدة فيها حصن وعمارة وسوق بقرب البيت المقدس بينهما مسيرة يوم فيه قبر الخليل ابراهيم (عم) فى مغارة تحت الارض وهناك مشهد وزوار وقوام فى الموضع وضيافة للزوار . وبالخليل سمى الموضع واسمه الاصلى حبرون ، وقيل حبرى »[٦٧] .

ويبالغ الرواة فى قدسية حبرون بصورة تلفت النظر ؛ فقد قيل عن ابن عباس انه قال : « لما أراد الله ان يقبض روح خليله ابراهيم (صلعم) أوحى الله عز وجل الى الدنيا انى دافن فيك خليلى فاضطربت اضطرابا شديدا وتشامخت جبالها وتواضت [تواضعت ؟] منها بقعة يقال لها حبرى ، فقال الله لها : يا حبرى انت شعوعى انت شعشوعى انت قدسى ، فيك خزانة

---

(٦٢) ن٠م ٠ ص ١٧٨ ٠
(٦٣) ن٠م ٠ ص ١٨٠ ٠
(٦٤) ياقوت : معجم البلدان : (Wustenfeld) ، حـ ٢ ص ١٩٤ ـ ٩٥ ٠
(٦٥) ابو الفداء مثير الغرام ٠ ص ١٨٤ ٠
(٦٦) ن٠م ٠ ص ١٨٠ ٠
(٦٧) ياقوت : معجم البلدان حـ ٢ ص ٤٦٨ ٠

علمى وعليك انزل رحمتى وبركاتى واليك أحشر خيار عبادى من ولد خليلى فطوبى لمن وضع جبهته فيك لى ساجدا ، اسقيه من حضرة قدسى وآمنة أفزاع قيامتى وأسكنه الجنة برحمتى فطوباك ثم طوباك ادفن فيك خليلى »(٦٨) .

فنحن نرى أن هذه البقعة قد أصبحت مادة طيبة للقصص ، لاسيما القصص الدينى ، وذلك لعلاقتها بالاديان القديمة وبابراهيم خاصة . ولعل الداريين انفسهم هم مصدر كثير من هذا القصص الذى يدور على ألسن الرواة . ولقد ظلت قرية حبرون عامرة أمدا طويلا ، وظل بها الداريون يدعون هذا الانتساب الى ابراهيم ، والى تميم الدارى . فقد قال المقدسى فى وصف حبرون :

« وفى هذه القرية ضيافة دائمة وطباخ وخدام مرتبون يقدمون العدس بالزيت لكل من حضر من الفقراء ويدفع الى الاغنياء اذا أخذوا ، ويظن أكثر الناس انه من قِرى ابراهيم وانما هو من وقف تميم الدارى وغيره ، والافضل عندى التورع عنه »(٦٩) .

ويبدو ان الداريين جعلوا هذه الضيافة وكأنها سنة متبعة منذ عهد ابراهيم ، وتقليد ساروا هم عليه من بعده ، خاصة وان ابراهيم اشتهر بضيافته ، وقيل انه اول من أضاف الضيف ، قال الثعالبى : « ويروى انه (أى ابراهيم ع) اول من أضاف الضيف حتى كنى أبا الضيفان وسنته باقية جارية ببيت المقدس الآن »(٧٠) .

ونعلم أيضا من مصادر متأخرة ان الداريين كانوا جماعة كبيرة لها شأن فى هذه المنطقة فقد جاء ان واقعة وقعت فى سنة ٨٧٨هـ فى بلد الخليل « وهى فتنة جرت بين طائفة الدارية وطائفة الاكراد فحصل بينهما تشاجر

---

(٦٨) ابن الفركاح : باعث النفوس ص ٨٢ ـ ٨٣ .

(٦٩) احسن التقاسيم (Leiden) ص ١٧٢ ـ ٧٣ ، أبو الفداء مثير الغرام ص ١٨٤ ـ ٨٥ .

(٧٠) لطائف المعارف (١٩٦٠) ص ٧ .

وانتشر الكلام بينهما ، فقتل من الفريقين ثمانية عشر نفرا ، واستنفر كل طائفة من ينتصر لها من العشير ، فدخلوا المدينة ونهبوا ما فيها عن آخره الا القليل منها ، وخربت أماكن واجتمع أهل البلد من الاكراد ودخلوا بأولادهم ونسائهم الى المسجد الشريف وأغلقوا الابواب ، ودخل جماعة الدارية الى القلعة وتحصنوا بها ، وكانت حادثة فاحشة لم يسمع بمثلها فى هذه الازمنة .. »[٧١] .

على أن الغريب ان ابن بطوطة حين وصف هذه المنطقة ، ووصف المغارة وبيت ابراهيم .. الخ ، لم يشر الى ملك الداريين ولا الى جماعتهم بشىء[٧٢] .

الخلاصـــة :

ملخص القول ان تميما الدارى هذا ، الذى يثير الجاحظ حوله هذا الغبار من الشك هو شخصية ربما وجدت حقيقة فى اوائل الاسلام ، بدليل أن جميع المصادر التى تتحدث عن الصحابة او عن الحديث او السيرة او المغازى او الطبقات تشير اليه بقليل او بكثير . وبما أن أكثر المصادر تتفق على نسبته الى لخم ، وانه كان نصرانيا فأسلم ، ولخم اشتهرت بعلاقتهـــا بالنصرانية ، وبالروم ، كما اشتهرت بين الرواة بعلاقتها بتاريخ الانبياء ، فقد انتقلت شخصية تميم من الواقع التاريخى ، الى المجال الادبى القصصى ، الذى يلعب فيه الخيال دورا مهما ، لا سيما والعناصر المكونة لشخصية تميم كلها ساعدت على هذا الانتقال . فتميم كان حلقة وصل بين الاسرائيليات وقصص الانبياء ، وبين الاسلام . يضاف الى ذلك كله علاقة تميم والداريين بيت ابراهيم ، التى يسندها الداريون بوثيقة تأريخية اسلامية ، ولا يكتفى بعلاقتهم بهذه المواضع قبل الاسلام ، بل أعطيت هذه العلاقة طابعا اسلاميا عن طريق هـذا الاقطاع الذى قيـل ان النبى منحـه للداريـين . وبذلك أصبحت شخصية تميم أرضا صالحة لكى ينسب اليها الرواة كل ما يجد

---

(٧١) الحنبلى : انس الجليل : ورقة ٢٣٢ أ .
(٧٢) رحلة ابن بطوطه ص ٥٥ .

فى الاسلام ، كما أصبحت ملجأ مهما للقصاص ، تختلط فيه عناصر خيال أجيال مختلفة ، ظل كل جيل يزيد عليها عصرا بعد عصر حتى زمن متأخر •

والفخر للجاحظ اذ نبه على هذه الشخصية الغريبة ، وان كان الجاحظ لم يتعرض لتميم بالنقد والفحص ، الا انه اكتفى بأن يذكره ويحيط شخصه بشكه الذى يحمل شيئا من السخرية أيضا ، ويتساءل عنه من بين أمور كثيرة غامضة تساءل عنها •

وديعة طه النجم